سقراط

وقضيـــة الأطفال

بقلم الأستاذ زكى المهندس

أستاذ التربية بدار العلوم

يؤكد لنا العلامة « فرويد » ومن ذهب مذهبه من علماء النفس ، أن تلك الأخيلة والصور التى تثب إلى شعورنا فى النوم ونسميها أحلاما أو رؤى ليست من عبث الوهم ، ولا من وحى الملائكة أو وساوس الشياطين ؛ وإنما هى مظاهر تعبر عن نزعات وأمانى تجيش فى قرارة نفوسنا يكبتها وقت اليقظة ما ألفناه من عادات وسنن ، وما تواضعنا عليه من عرف وتقاليد . فاذا ما غفونا وسكن هذا العقل الواعى وتحللت النفس من قيود التفكير وقواعد المنطق ومبادئ السلوك وكل ما ينطوى عليه ذلك من مراعاة النسب والصلات والعلل والمعلولات والممكنات والمستحيلات والفضائل والآداب ، اذا تحللت النفس من هذا كله جاشت فى النفس هذه النزعات والأمانى ووجدت متنفسا فى تلك المناظر والصور التى تتتابع فى شعورنا كما تتتابع مناظر الخيالة ، ولكن على غير نظام مألوف أو ترتيب معين .

فاذا رأيت أنك عظيم فى قومك ، وأن لك سلطانا على من حولك ، تأمر فيأتمرون وتنهى فينتهون ، دل هذا على أن نفسك طموح إلى السلطة ، توّاقة إلى الاستعلاء والمجد ، وأن هذه النزعة قد ثارت ثورتها ، وعبرت عن

نفسها فى ثوب ملك أو أمير عظيم أو ما إلى ذلك بما ينفّس عنها ويتقع غلتها .

واذا تراءت لك حماتك فى حلم من أحلامك فتأويل هذا عند «فرويد» وشيعته أن نزعة مقت وحقد قد جاشت فى نفسك ووجدت سبيلها إلى الظهور فى هذه الصورة .

فاذا صح ما يدعيه «فرويد» وأنصاره فى هذه الحالات وأشباهها كانت الأحلام رحمة من الله بعباده فهى تفرج عنا كروبنا وتعبر عن آمالنا وآلامنا فما أهنأنا بحلم ندرك به فى النوم مالا نستطيع دركه فى اليقظة ! !

وقد يكون «لفرويد» فى هذا الافتراض حجته وبرهانه وقد يكون له بحوثه وتجاربه وقد يكون فى هذا كله مصيبا أو مخطئا أو مسرفا غير أنى فى الحق لا أدرى أين تقع هذه الرؤيا التى سأقصها عليك من مذهبه ورأيه ، وكل ما استطيع أن أؤكده لصديق القارئ هو أن «سقراط» فيلسوف اليونان المعروف لم يكن فى يوم ما من هؤلاء الذين تعلقت بهم نزعاتى أو اتصلت بهم أمانىّ . لقد تعرّفت إلى هذا الشيخ الجليل ووقفته على جانب من آرائه وبجمل من حياته ، ولكن كان ذلك فى زمن مضى قدم العهد به وعفّى النسيان على ذكراه . فما كان سقراط ولا غير سقراط من فلاسفة اليونان يمتّ إلى نفسى أو وجدانى بسبب لا من قرب ولا من بعد بل أكاد أجزم فى غير سَرَف أو إفراط بانى كنت ومازلت من هذا السيد الوقور فى عزلة تامة وحياد مطلق ، فكيف تهيأ لسقراط أن يصبح بطل حلم من أحلامى ، أراه واستمع إليه يُحدّث ويحاور ؟ إن هذا لعجيب حقا ، ولكن أعجب منه أن استطيع أن أذكر فى جلاء ووضوح كل كلمة تحرك بها لسانه وأن استطيع أن أدوّن ذلك على طوله وتشعبه .

ولكنها الأحلام تخرج عن كل قياس وتشذ عن كل مألوف ، وهل تعكس الآيات الكونية وتضطرب النواميس الطبيعية إلا فى الأحلام ؟ اليست هى التى تدنى منك كل بعيد وتكشف لك عن كل غامض وتطوع لديك كل عصية ؟ وهل فى غير الأحلام تُجْتَذَب الموتى من قبورهم وتُسْتَنْزَل العُصُم من معاقلها وتهبط الكواكب من عليائها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات ؟ فمالى أعجب إذاً من أن يكون سقراط بطل حلم من أحلامى وأن يطوىَ بينى وبينه ثلاثة وعشرون قرنا أو تزيد ؟ ما كانت الأحلام موطنا للدهش أو موضعاً للغرابة إنما موطن ذلك هو هذا العالم اليقظ الواعى بكل ما ينطوى عليه من رسوم وحدود وقواعد ومبادىء ومُثُل . والأحلام فى حل من هذا كله فهى حياة لا كهذه الحياة وعالم مستقل بنفسه قائم بذاته ، هى حياة حرة مسرفة فى الحرية ، طليقة مغرقة فى الطلاقة تأبى أن تخضع لضوابط التفكير وتأبى أن تعترف بقواعد السلوك ؛ ومن يدرى لعل هذه الحياة الحرة الطليقة التى نستمتع بها فى تلك الفترات القصيرة من نومنا ليست إلا صورة مضطربة أو مهوشة من تلك الحياة الروحية التى سنحياها يوم تُبْلى السرائر وتَبْلى الجسوم ونخلع عن كواهلنا أعباء هذه المادة الثقيلة .

ومهما يكن من أمر تلك الأحلام فليس يعنينى هنا سوى أن أقص على مسمعك رؤياى كما وقعت وسأقنع بهذا وأكفى نفسى مؤونة التفسير والتأويل والتعليل واقول مع قوم يوسف « هذه أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين »

(١)

ما أكاد أجاوز عتبة الباب الخارجى لوزارة المعارف حتى أرى رجلا غريباً قد ارتدى ثوبا أبيض فضفاضا واسع الأكمام ضافى الذيل وبيده

عصا طويلة يتوكأ عليها وعلى كتفيه لفاع قد عقد اطرافه فوق منكبيه وقد انتعل نعلين تضطرب فيهما قدماه وتبين منهما اطراف أصابعه .

يمشي هذا الرجل أمامي وعلى قيد خطوات مني مشية متزنة هادئة مطرقا إلى الأرض حتى خيل الي أنه يبحث عن شيء فقده أو كأن هذا الرمل الذهبي الذي يكسو فناء الوزارة قد فتنه حتى ما يكاد يحول عنه طرفه ، أو كأنه يرى في الأرض وسيلة تعينه على التفكير فيما لديه من شئون .

يروعني منظر الرجل فأدلف إليه حتى أحاذيه ثم أحدق في وجهه فأكاد أصعق خشية وعجبا . يالله ! سقراط في وزارة المعارف! لم يكن هذا الرجل الذي أمامي سوى سقراط . نعم هو سقراط بعينه فهذا هو رأسه الأصلع وأنفه الأفطس وتلك هي لحيته الكثة الجميلة التي أبدع المثال في تصويرها وذانك هما وجنتاه البارزتان وعيناه الجاحظتان وشفتاه الغليظتان فهذا هو سقراط في صورته التي ألفت أن أراها بين دفات الكتب .

يمشي سقراط في اطمئنان وثقة وامشي وراءه في جزع وحيرة حتى يدنو من الباب الداخلي في الوزارة ويقف ثم يلتفت يمنة ويسرة فتقع عينه على التمثالين المنصوبين قبالة الباب فيحدق فيهما طويلا ثم يشرق وجهه وتنبسط أساريره وتلمع عيناه ويقترب من أحد التمثالين ثم يوليه ظهره ويجلس على قاعدته ويعود فيغض من جفونه ويغرق في تفكيره .

يظل سقراط على هذه الحال والناس من حوله يغدون ويروحون يقبلون ويدبرون فرادى وجماعات راكبين وراجلين لا يلوون على شيء ولا يلتفون إلى شيء فالوارد منهم إلى الوزارة يفكر فيما هو مقبل عليه والصادر عنها يفكر فيما انتهى إليه فان لكل مسألة تعنيه وشأنا يغنيه يمرون

بسقراط سراعا فلا موقفه يروعهم ولا منظره يأسر انتباههم وماذا يعنيهم من أمر رجل غريب يقف ناحية من الوزارة وهم قد ألفوا أن يروا الأفنية والطرقات والأبهاء وحجرات الموظفين تعج — فى مثل هذا الموسم من افتتاح المدارس — بأصناف شتى من الناس من كل طبقة وملة .

أليس من الطبيعى أن يكون فى وزارة المعارف آباء يطلبون ما دام فى المدارس أبناء يتعلمون ؟ ثم أليس من المحتمل أن يكون هذا الوافد الغريب أحد هؤلاء الذين يغشون الوزارة يلتمسون المجانية لأبنائهم وذويهم ؟ كذلك كان الناس يفكرون — إذا فكروا — فى سقراط وكذلك كان سقراط بدوره لا يفكر فى أحد ولا يلتفت إلى إنسان بل يظل جامداً فى مكانه مغرقا فى تفكيره لا يكاد يصرفه عما هو فيه إلا بوق سيارة أو صراخ فراش كنت حينئذ تراه يفزع ثم يشخص ببصره صوب الصوت فى شىء من الألم أو القلق يبدو فى وجهه كأنه يضيق ذرعا بتلك البيئة الصاخبة التى تشتت من انتباهه وتقطع عليه سبيل تأملاته .

(٢)

محمد المصرى بك شخصية مثقفة ممتازة بين المشرفين على التعليم فى وزارة المعارف عرفته منذ زمن وجلست إليه فى غير مرة وبلوت رأيه فى اكثر من شأن من شئون التعليم فكنت دائما أرى فيه الرجل الطيب القلب النقى السريرة الصريح الرأى لا يعيبه فى هذا سوى شىء واحد هو شدة استمساكه بالقديم وحرصه عليه وسوء ظنه بالجديد وارتيابه فيه . وكنت لا ألومه فى هذا ولا آخذه عليه فانى أعلم أن الرجل قد أوفى على الستين أو جاوزها وما كنت لأطمع فى رجل أتت عليه السنون وأضاء المشيب مابين فوديه أن يرى من الصواب مايراه الفتيان صوابا أو يقتنع بآراء الشبان ومذاهبهم فى الحياة ، هذه قاعدة عامة تصدق على الشيوخ

لا يكاد يشذ عنها إلا قليل من المصطفين الأخيار الذين وهب لهم الله مرونة فى العقل وآتاهم قدرة على التحول بحيث يقدرون لكل شىء قدره ويلبسون لكل ظرف لبوسه . هؤلاء هم الذين نصفهم بالعبقرية أحيانا وبالنبوغ أحيانا أخرى، ولكن صديقى المصرى بك لم يكن - لسوء الحظ - عبقرياً ولا نابغة . وكم كانت تعظم خيبتى فيه ويشتد يأسى منه كلما التمست عنده الرأى فى امر يتصل بالنهضة التعليمية الحاضرة . كنت اراه حينئذ تثور ثائرته ويحتدم غضبه ويشتد خصامه فيطلق لسانه فى نظام التعليم وفى مناهج التعليم وفى رجال التعليم ولا يكاد يَدَع قاعدة من القواعد التى قام عليها النظام التعليمى الا تناولها بتهكم لاذع ونقد محض ثم يعود فيتأوه ويتحسر على زمن مضى كانت المدارس تصوغ فيه رجالا ممتازين لا فتيانا مغرورين كما هو شأن مدارس اليوم . وكنت افسح صدرى لكل ما يقوله لأنى أعلم ان ذلك النظام التعليمى العتيق قد اقترن بشباب الرجل وايام فتوته فهو إذ يدافع عنه ويتعصب له انما يدافع عن خير أيام حياته . وهو إذ يحن الى تلك المدرسة القديمة بكل ما كان فيها من خير أو شر انما يحن إلى مآرب قضاها الشباب هنالك .

(٣)

يخرج محمد المصرى بك من الباب الداخلى للوزارة وما يكاد يقع بصره على سقراط حتى يسرع اليه ويقبل عليه باسما متهللا يصافحه ويحييه فى إجلال وتوقير ثم يجرى بينهما حديث ينبىء بأنهما كانا على ميعاد وأقف أنا بحيث أراهما وأسمع حديثهما ولا يرياني :

المصرى — « أنت هنا يا أستاذ وليس لدى علم بمقدمك . لقد انتظرت عودتك طويلا حتى خفت أن يكون قد أصابك مكروه »

سقراط — « وأى مكروه تخشى أن يصيبنى ياسيدى وأنا فى

بلادكم الجميلة الوادعة يشملني أهلها برعايتهم ويغمرونني بفضلهم أني ذهبت حتى كدت أنسى حقا أني أعيش على ضفاف النيل وأن هذا النسيم الصافي العليل الذي أنشقه وأستمتع به ليس هواء (الاكربول) »

المصري — « ثق ياسقراط أنك في بلدك وبين أهلك ولا تنس أن مصر بل العالم اجمع كان وما يزال مدينا لك ولقومك بما خلفتموه من علم وفن وما تركتموه من مبادىء ونظم وآراء ومذاهب وتأكد ياصديقي انه ستمر السنون وتتعاقب الأجيال وآثاركم الخالدة لن تبرح المنار الساطع الذي يشع نوره على العالم فيضيء له سبيله إلى المدنية والحضارة »

سقراط — « عفواً — ياسيدي — عفواً فنحن لاننسى اننا مدينون كذلك لبلادك ولقومك بكل ماحصلناه من علم أو حذقناه من فن فلولا مصر ما كانت اليونان يونانا وإذا كان لنا على العالم من فضل - كما تقول - فهو على الحقيقة فضل مصر عنها أخذناه ومنها تعلمناه وحذقناه ثم على العالم أسبغناه فالفضل لمصر أولا وآخراً وليست اليونان الا ربيبة مصر مربية الممالك ومعلمة الشعوب . سل معابدكم المظمة الرهيبة وآثاركم الصامتة الرائعة تنبئك الخبر اليقين »

المصري — « شكراً لك ياعزيزي سقراط شكراً ولكن خبرني كيف كانت زيارتك اليوم لمدارسنا لقد علمت أنك آثرت مدارس الأطفال بزيارة اليوم ولعلّ للمدارس الثانوية نصيباً من وقتك غداً فحدثني ماذا رأيت في مدارس الأطفال »

سقراط — « لقد رأيت كثيراً ياسيدي وأقسم أني مغتبط بما رأيت ويزيد من اغتباطي تلك البنى الشاهقة الفخمة التي تعلمون فيها أطفالكم وتلك الأدوات المختلفة والآلات والأجهزة المتنوعة التي يستعين بها معلموكم على إفهام تلاميذهم . وقد سرني بوجه أخص نظافة مدارسكم

وحسن إدارتها ولا أدى ماطبع عليه نظاركم من الظرف والايناس وحسن اللقاء والكرم فقد كان لكل ذلك أحسن أثر فى نفسى »

المصرى — « يسرنى أن أسمع هذا منك ياسقراط ولا بد أن تكون قد لحظت ماعليه هذه المدارس من حسن النظام فمن غير سقراط يستطيع أن يعجب بهذا ويغتبط به ؟ »

سقراط — « لم يَرُعْنِي شيء سوى ذلك »

المصرى — (بشيء من الدهشة) « وماذا يروعك فى هذا ؟ إن حسن النظام من أظهر ماتمتاز به هذه المدارس الأميرية التى تشرفت اليوم بزيارتك »

سقراط — « إنى لا أكتمك ياسيدى أنه قد راعنى حقاً ماحظت من هدوء التلاميذ وسكونهم فى الفصول حتى لقد كان يخيل إلىّ أنهم تماثيل منصوبة أو خشب مُسَنَّدة لايبدون حراكا إلا إذا سئلوا وقلما يكون ذلك »

المصرى — « إن هذا مما يقتضيه نظام التعليم وما دام فى الفصل معلم يلقى فلا بد أن يكون هناك تلميذ يُصْغِي وبغير هذا يكون التعليم فوضى وتكون الإدارة مختلة ويجب أن تعلم يا سقراط أن وزارة المعارف تعنى بهذا النظام أشد عناية ولا يسعها إلا أن تحاسب النظار والمعلمين حسابا عسيرا أن فَرَّطوا فيه أو توانَوْا عنه »

سقراط — « وهذا بعينه ما فسر به نظار المدارس ومعلموها هذا السكون الشامل حين تحدثت اليهم فى ذلك »

المصرى — « وهم فى هذا على حق فان التعليم لا يمكن أن ينتهى إلى الغاية التى رسمت له بغير هذا النظام الذى رأيت اليوم »

سقراط — « فانتم إذاً تنشدون السكون والهدوء فى الفصول لانه نظام وأنتم حريصون على هذا النظام »

المصرى — « هذا كل ما نبغى »

سقراط — « ولكن خبّرنى هل لهذا النظام مدلولات مختلفة أوله معنى واحد »

المصرى — (متردداً) « النظام هو النظام ولا أفهم له سوى مدلول واحد هو مارأيت اليوم فى مدارسنا »

سقراط — « إذا كان للنظام مدلول واحد هو مارأيتُ اليوم فى مدارسكم كان نظام أى جماعة من الناس هو مبلغ مايسود بينهم من هدوء وسكينة أليس كذلك »

المصرى — « بلى . هو النظام بعينه »

سقراط — « لكن الناس يختلفون فيما يزاولونه من الأعمال . فهل من الواجب أن يكون لكل عمل نظام ؟ »

المصرى — (ساخراً) « هذا بَدَهى . النظام واجب للعمل أيا كان وعه وهذه الحقيقة ينبغى الا تعزب عن سقراط »

سقراط — « لقد سمعت من نظاركم ومعلميكم أن لأطفالكم ولوعا بالألعاب الرياضية وبخاصة لعب الكرة وأن لكل مدرسة فرقة لكرة القدم وأن هذه الفرق تتبارى فى أيام معينة من العام الدراسى وأوكد لك أنى مبتهج بما سمعت فان للالعاب فوائد تذكر ومزايا لاتجحد »

المصرى — « إن ما سمعتَه لَحقّ وكم وددتُ لو كنت معنا بالأمس لتشهد مباراة من هذه المباريات بين مدرستى محمد على والمنيرة إذَنْ لرأيت مبلغ ما وصلنا اليه من العناية بالألعاب »

سقراط — « إنه ليؤسفنى حقا أن تُفْلتنى هذه الفرصة ولعلى

لا أخطئها مرة أخرى ولكن خبّرنى هل من اللازم أن يكون للعب الكرة نظام »

المصرى — « طبعا وأى شىء أولى بالنظام من لعب الكرة ؟ فان لكل عضو من أعضاء الفرقة عملا محدودا وموقفا معينا فان توانى فى عمله أو جاوز موقفه فسد اللعب واختل نظام الفرقة فكانت الهزيمة »

سقراط — « وهل نستطيع أن نقول إن نظام الفرقة يعنى الهدوء الذى يجب أن يسود بين أفرادها ؟ »

المصرى — « ما هذا السخف ياعزيزى سقراط ؟ كيف يتصور عاقل مباراة فى الكرة يقف فيها اللاعبون ساكنين هادئين كأن على رءوسهم الطير ؟ أن من أظهر مميزات لعب الكرة هو ما تراه بين اللاعبين من كرّ وفرّ وإقبال وإدبار والكرة بينهم :

كريشة بمهبّ الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

فأين يكون الهدوء والسكون فى لعب الكرة ؟ »

سقراط — « لقد أحسنت القول وأجدت التصوير ياسيدى ولكن ماذا يعنى نظام لعب الكرة إذاً ؟ »

المصرى — « لم أكن من لاعبى الكرة فى أيام شبابى ولكنى أعتقد أن النظام هنا يعنى مبلغ ما يكون بين أعضاء الفرقة من حسن التعاون والائتلاف بحيث يكونون كرجل واحد فى هجومهم ودفاعهم حتى لا يجد خصومهم ثغرة يقتحمونها إلى المرمى »

سقراط — « إنك لم تتجاوز ما فى نفسى ولكن هذا يعنى أن النظام فى الكرة غيره فى الفصل »

المصرى — « هذا صحيح »

سقراط — « ولكنك زعمت أن للنظام مدلولا واحدا هو ما رأيت

اليوم فى مدارسكم من هذا الهدوء الشامل والسكينة التامة فى فصول الدراسة »

المصرى — (غاضبا) « لا يغب عنك يا سقراط إنك تناقش فى نظام أجمع رجال التعليم عامة على وجوبه وضرورة مراعاته فى المدارس وما كانت وزارة المعارف لتقرّ هذا النظام لو لم تقتنع بفائدته فى سير التعليم وحسن أثره فى أخلاق الأطفال فاسمح لى أن . . . . . »

سقراط — (مقاطعا) « ألا إنه ليحزننى ياسيدى أن تجد فى حوارى ما يغضبك وما كنت لاعيب نظاما ألفتموه وجربتم عليه زمنا طويلا وما والله إلى هذا قصدت ولكنى أطمع أن أصل إلى الحق لاقتنع به كما اقتنع رجال التعليم فى مدارسكم »

المصرى — « فلتطمع فيما شئت ولتقتنع بما شئت ياسقراط ولكنى لا أحسبك مستطيعا أن تزعزع عقيدتى فى نظام أجمع الكل على ضرورته فأنتم معشر الفلاسفة تأبون إلا أن تجادلوا الحق بالباطل حتى تحولوا الممكنات إلى مستحيلات وتردوا البديهيّات الواضحات نظريات معمّيات »

سقراط — « شكرا لك — يا عزيزى — على حسن ظنك بالفلاسفة ولكن دعنا فيما نحن فيه فقد اضطررتنى الآن إلى أن أفهم أن النظام إذا أضيف إلى لعب الكرة كان معناه حسن التعاون والائتلاف بين أفراد الفرقة فاذا أضيف إلى التعليم فى الفصل « كان معناه ذلك الهدوء الشامل الذى يسود بين الأطفال »

المصرى — « يظهر أنه لابد من التسليم بذلك »

(٤)

سقراط — « ولكن خبّرنى هل ابتهاج الصغار بالتعليم فى الفصل يعدل أو يزيد أو يقل عن ابتهاجهم بلعب الكرة »

المصرى — « لا يسع أى امرئ إلا أن يلحظ أن الأطفال فى لعب

الكرة أكثر ابتهاجا وأعظم سروراً منهم فى الفصل وهذا بدهى جدا »

سقراط — « أليس هذا يعنى أن لعب الكرة على ما فيه من قيود وواجبات أحب إلى نفوس التلاميذ من التعليم فى الفصل »

المصرى — « بلى لقد قلت أن هذا طبيعى وبدهى أيضا »

سقراط — « وليت شعرى ما علة التفاوت فى الأمرين والطفل هو الطفل ؟ »

المصرى — « كيف يغيب عنك يا سقراط أن اللعب حركة والتعليم سكون وأن الحركة من أهم خصائص الطفولة ؟ »

سقراط — « حسن فالحركة إذاً من أظهر مميزات الطفولة وهى من أجل هذا مدعاة للكراهة »

المصرى — « إن هذا لكما تقول »

سقراط — فاذا استطعنا أن نمزج التعليم فى الفصل بالحركة فهل يصبح سارا محببا إلى نفوس الأطفال كلعب الكرة ؟ »

المصرى — « لا شك فى ذلك »

سقراط — « ولكن بماذا نصف كل عمل يقمع الحركة فى الأطفال »

المصرى — « هو عمل بغيض إلى نفوسهم »

سقراط — « فاذا كان هذا العمل تعليما فبماذا نصفه ؟ »

المصرى — تعليم عقيم بغير نزاع »

سقراط — « لكنكم تنشدون السكون فى الفصل لأنه نظام وأنتم جد حريصين على هذا النظام فأنتم إذاً تنشدون أمرا بغيضاً إلى نفوس الأطفال »

المصرى — « يظهر أننا على خطأ فيما نبغى »

سقراط — « ولكن هل هذا يعنى أن نطلق العنان لحركات الأطفال فى الفصول كما نفعل فى الملعب ؟ »

المصرى — « إذَنْ نكون قد جنينا على التعليم »

سقراط — « فأنت إذاً لا ترضى أن تدع الأطفال يلهون فى الفصول كما يشاءون لأنهم لا يتعلمون وأنت كذلك لا ترضى لهم أن يجلسوا فى الفصول هادئين ساكنين يستمعون إلى المعلم لأن الحركة من أظهر ميولهم فما العمل إذاً ؟ »

المصرى — « أظن انه لا بد من التفكير فى طريقة تجمع بين تعليم الأطفال وإرضاء ميولهم »

سقراط — « نعم يجب أن تفكروا فى هذه الطريقة ولعلكم موفّقون إن شاء الله »

وما كاد سقراط ينتهى من كلمته الأخيرة حتى سمعت ناقوسا يدق ، بدا صوته فى خفوت يقرب من الهمس ، ثم أخذ يدنو من سمعى شيئا فشيئا حتى امتلأت به نفسى وامتلك على شعورى وحسى ، ففتحت عينى فإذا المنبه الذى أضعه بمسمع منى كل ليلة يملأ أرجاء الغرفة بصلصلته مؤذنا بأن الساعة قد أوفت على السادسة .